الاستلزام الحواري عند غرايس نماذج مختارة من رواية "مَن قتل الفلامينكَو؟! "

Selected models from the novel "Who Killed the Flamingo?!"

إسلام سمير إبراهيم العزّاوي

قسم اللغة العربية / كلية الآداب والعلوم – جامعة قطر

ia1306129@edu.qu.qa

Islam Samir Ibrahim Al-Azzawi

Department: Department of Arabic Language

College: College of Arts and Sciences - Qatar University

Email: ia1306129@edu.qu.qa

ملخص باللغة العربية

تروم هذه الورقة البحثية تحليل نماذج مختارة من الحوارات المتنوعة بين شخصيات رواية "مَن قتل الفلامينكَو؟!" للكاتب العراقي سمير العزّاوي، بحسب قواعد مبدأ التعاون ونظرية الاستلزام الحواري عند غرايس، بغية الكشف عن المقاصد التي أراد إيصالها الكاتب إلى المتلقي على لسان الشخصيات.

الكلمات المفتاحية: التداولية، الاستلزام الحواري، المعنى الصريح والضمني، مبدأ التعاون.

Abstract

This paper explores selected samples of the various dialogues between the characters of the novel "Who Killed the Flamingo?" By the Iraqi writer Samir Al-Azzawi, according to the rules of the principle of cooperation and the theory of dialogical implication of Grace, in order to reveal the intentions that the writer wanted to communicate to the recipient through the words of the characters.

& Implicit meaning, Keywords: Pragmatics, Conversational implicature, Explicate Cooperative Principle.

- المقدمة:

اهتم الاتجاه التداولي Pragmatic بأطراف العملية التواصلية ودلالات العبارة اللغوية المستعملة في المقامات المختلفة بحسب أغراض المتكلمين وأحوال المخاطَبين، مما دعا الفيلسوف البريطاني هربرت بول غرايس H. Paule Grice (١٩١٣– ١٩٨٨) إلى إجراء أبحاث كثيرة مفادها أن العبارات اللغوية تنقسم على: معنى صريح explicate meaning ، وآخر ضمني أو مستلزم implicit meaning، فسمّاه بالاستلزام الحواري Conversational implicature (صحراوي، ٢٠٠٥، صفحة ٣٤)

- مشكلة البحث:

قال الفيلسوف النمساوي فتجنشتين L. J. J. Wittgenstein (١٨٨٩–١٩٥١) عن العبارات اللغوية: "In most cases, the meaning of a word is its use" (Wittgenstein, 1932, p. 35).

فزاد الاهتمام بالمقاصد التي تغير المعنى في أثناء استعماله في السياقات الحوارية المختلفة، ما أدى إلى ظهور الاتجاه التداولي Pragmatic في خمسينيات القرن العشرين، ومن بين أهم الباحثين الذين ساهموا في تطوير هذا الاتجاه هو الفيلسوف البريطاني هربرت بول غرايس H. Paule Grice (١٩١٣– ١٩٨٨) في محاولة منه لتوضيح فهم الملفوظ وتأويله بين أفراد العملية الحوارية اذ يعتمد على عاملين؛ معنى الجملة والسياق، فخرج بنظرية تعدّ من بين أهم مباحث التداولية ألا وهي

الاستلزام الحواري Conversational implicature المنبثقة عن مبدأ التعاون Cooperative Principle (ختام، ٢٠١٦، صفحة ٢٠).

وهذا ما أكده الأستاذ طه عبد الرحمن في قوله: إنّ "الأصل في الكلام القصد" (عبد الرحمن، ٢٠٠٧، صفحة ١٠٣)، ما يدلّ على أهمّيّة الدّور الذي يلعبه استعمال اللّغة في تداولها وسياقها الاجتماعي Social Context.

والمهتم بالرواية العربية يجد أن الحوار بين الشخصيات متخم بالاستلزامات المختلفة في محاولة من الكاتب للتعبير عن مقاصد محددة وإيصالها إلى المتلقي على لسان تلك الشخصيات.

ومن أجل ذلك تطرح الورقة الإشكالات الآتية:

١-ما مفهوم الاستلزام الحواري؟
٢-ما أنواع الاستلزام عند بول غرايس؟
٣-هل ظهرت أنواع الاستلزام بين الشخصيات في النماذج المختارة من رواية "مَن قتل الفلامينكَو؟!"؟
٤-وهل نجح الكاتب في استخدام الاستلزام الحواري للتّواصل مع المتلقي؟ وما هي الرسالة التي أراد إيصالها؟

- فرضيات البحث:

بناءً على الإشكالات السابقة يفترض البحث أنَّ: مفهوم الاستلزام الحواري يعني عبارات لها معنى ضمنيا.

وتندرج منه فرضية جزئية وهي أنّ: أنواع الاستلزام – عند غرايس – قد ظهرت أثناء حوار الشخصيات في النماذج المختارة من الرواية، وقد نجح الكاتب في إيصال رسالته إلى المتلقي، وقد تكون رسالته تتلخص في الانتماء للعراق رغم الظروف التي عصفت به.

- أهمية البحث وهدفه:

تعدُّ الرواية أبرز الأعمال الأدبية استعمالًا للحوار بين الشخصيات، وهو مقتبس من الحياة الاجتماعية اليومية. وتحمل الرواية في طياتها استلزامات ضمنية بين الشخصيات فضلًا عن متضمنات بين الكاتب والمتلقي؛ ذلك أن الأخير يفترض – مسبقًا – أن الشخصيات ليست حقيقية؛ بل من نسج خيال الكاتب، منذ تنويه الكاتب في الصفحة السابعة (٧) من روايته "مَن قتل الفلامينكَو؟!" منوّهًا إلى أن الأحداث مقتبسة من الواقع، فَيُحيل إلى أماكن واقعية معروفة في العراق، كالوَشّاش ومدرسة الأبطال وشارع المتنبي في بغداد وغيرها. وكذلك أماكن في ألمانيا، مثلًا مطار برلين وشارع فردريشتراسيه ومقهى "كالفويل" الكائن في شارع شونبيرج وغيرها.

هذا التنوع في الأماكن والأحداث يؤدي إلى تنوع في الحوارات بين الشخصيات لتدل على معنيين في الوقت نفسه؛ معنى حرفي مباشر أو صريح، ومعنى آخر غير مباشر أو ضمني مستلزم، ذلك أن الاستلزام "ينبع منطقيًّا مما قيل في الكلام؛ أي أن الجمل هي التي تحوي الاستلزام وليس المتكلمون" (يول، ٢٠١٧، صفحة ٥١).

بناءً على هذه المقولة فالورقة تهدف إلى تحليل نماذج مختارة من الحوارات بين شخصيات رواية "مَن قتل الفلامينكَو؟!" للكاتب العراقي سمير العزّاوي، بحسب قواعد مبدأ التعاون ونظرية الاستلزام الحواري عند غرايس، بغية الكشف عن المقاصد التي أراد إيصالها الكاتب إلى المتلقي على لسان شخصيات روايته.

- الدراسات السابقة:

إنّ الدراسات التي اعتنت بموضوع الاستلزام الحواري في الروايات كثيرة وقيّمة، وتحاول الباحثة هنا تقديم بعض الدراسات التي اقتربت من الموضوع مجال البحث كما يلي:

١. دراسة البشير مناعي ودلال وشن (٢٠١٧) بعنوان: "تداولية الاستلزام الحواري في الخطاب السردي: دراسة للاستلزامات الحوارية للأساليب الخبرية في رواية "الدراويش يعودون إلى المنفى" لإبراهيم الدرغوثي".

هدفت الدراسة إلى معالجة وتطبيق ظاهرة الاستلزام الحواري في السياق العام لرواية "الدراويش يعودون إلى المنفى" لإبراهيم الدرغوثي.

٢. دراسة خديجة بوخشة (٢٠١٩) بعنوان: "الاستلزام الحواري في رواية "نبضات آخر الليل" مقاربة تداولية"

هدفت الدراسة إلى تحليل الحوار السردي- في رواية نبضات آخر الليل للكاتبة الجزائرية نسيمة بولوفة- تحليلًا تداوليًّا، مُنطلِقًا من الاستلزامات الحوارية التي تنشأ بين الشخصيات ممثلة في أقوالها الحوارية.

٣. دراسة عبد الكريم الحجراوي (٢٠٢٢) بعنوان: "الاستلزام التخاطبي في رواية عمار علي حسن "باب رزق".

سعت الدراسة إلى تطبيق نظرية الاستلزام التخاطبي أو الحواري على حوار الشخصيات في رواية "باب رزق" تحليلًا وتفسيرًا عن طريق مبادئ متعددة: مثل مبدأ التعاون عند غرايس، ومبدأ التهذيب عند روبين لايكوف، ومبدأ التواجه الذي أورده كل من بروان وليفنس، وأخيرا مبدأ التصديق عند طه عبد الرحمن.

٤. دراسة أ. م. د. ريبوار عبدالله خطاب وشعبان خضر حسين (٢٠٢٢) بعنوان: "مبادئ الاستلزام الحواري في رواية "هروب نحو القمة" لأحمد الزاويتي في ضوء قواعد غرايس".

هدفت الدراسة إلى توظيف مبادئ الاستلزام الحواري في ضوء مبدأ التعاون عند غرايس وقواعده الأربعة (الكم والكيف والمناسبة والطريقة) في نماذج من رواية "هروب نحو القمة" لأحمد الزاويتي.

- التعقيب على الدراسات السابقة:

بتأمل موضوعات الدراسات السابقة ونتائجها – التي تمكنت الباحثة من الاطلاع عليها – تجد أنها تتفق مع الدراسة الحالية في موضوع الاستلزام الحواري عند غرايس وتطبيقه على نماذج من روايةٍ ما.

وتتصف الدراسة الحالية أنها تتطرق إلى الآتي:

- تطبيق الاستلزام الحواري ومبدأ التعاون في نماذج من رواية عراقية معاصرة.
- فضلًا عن اعتمادها – منهجيًّا – على قسم نظري وآخر تطبيقي.
- وتوضيح بعض الأحداث والتفاصيل اللازمة في النماذج بهدف تقديمها بشكل مفهوم للقارئ.

- حدود الدراسة:

- الحدود الموضوعية: رصد أنواع الاستلزام الحواري في نماذج مختارة من رواية "مَن قتل الفلامينكَو؟!".
- الحدود المكانية: حوار الشخصيات في الأماكن بين العراق وألمانيا.
- الحدود الزمنية: تدور أحداث الرواية ما بين عام ٢٠٠٣م إلى ٢٠١٤م.

- منهجية البحث:

اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي بوصفه الأنسب للموضوع.

- الإطار النظري:

أولًا: مصطلحات البحث:

١,١ مفهوم الاستلزام implicature:

الاستلزام مصدر على وزن استفعال (السامرائي، ٢٠١٣، صفحة ٢٧) المزيد بالهمزة والسين والتاء ويأتي للطلب (السامرائي، ٢٠١٣، صفحة ٣٢) من الفعل لَزِمَ.

و(لَزِمَ) الشيء يلزمه لَزْمًا ولُزومًا ولِزامًا والتزمه وألزمه إياه فالتزمه ولزِمت به ولازمته، ورجل لُزمة أي: صاحب شيئًا فداوم عليه ولم يفارقه (الفراهيدي، ٢٠٠٧، صفحة ٣٧٢)/ (الرازي، (د.ت)، الصفحات ٤٩٤-٤٩٥)/ (ابن منظور، (د.ت)، صفحة ٤٠٢٧)/ (الزبيدي، ٢٠١١، صفحة ٤١٨)/ (ابن فارس، ١٩٧٩، صفحة ٢٤٥).

قال تعالى: {قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا} (الفرقان: ٧٧).

من الملاحظ أن معجمات التراث – التي عادت الباحثة إليها – تتفق في المعنى اللغوي، وعليه فيدل المفهوم على مصاحبة الشيء مصاحبة تامة بلا فراق، مما يعني أن الطرف الأول بحاجة إلى الطرف الثاني، وأن غياب أحدهما سيجعل الآخر غائبًا، لذا فوجود كل منهما جنبًا إلى جنب أمر ضروري ولازم.

ذكر معجم Long Man أن مصطلح implicature مشتق من الفعل Imply ويعني: اقتراح الشيء بشكل مباشر أو غير مباشر، أو من غير التصريح به أو التعبير عنه بطريقة غامضة وخفية (Procter, 1978, p. 56).

٢,١ مفهوم الحوار Conversation:

الحِوار مصدر على وزن فِعال المزيد بالألف ويدلّ على الامتناع (السامرائي، ٢٠١٣، الصفحات ٣٨-٧٢) من الفعل الأجوف حَوَرَ (السامرائي، ٢٠١٣، صفحة ١٨).

والحَوْرُ يعني الرّجوع عن الشّيء وإلى الشّيء، قيل: حار بعدما كار، والتّغيّر من حال إلى آخر، وكذلك النّقصان بعد الزّيادة (الفراهيدي، ٢٠٠٧، صفحة ٣٨٧) / (ابن منظور، (د.ت)، صفحة ١٠٤٢)/ (ابن فارس، ١٩٧٩، صفحة ١١٧)؛ لأنه رجوع من حال إلى حال آخر.

قال تعالى: {إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ} (الانشقاق:١٤)، وفي الحديث النبوي الشريف: "كانَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَآلِه وَصَحْبه وسلَّمَ إذَا سَافَرَ يَتَعَوَّذُ مِن وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ المُنْقَلَبِ، وَالْحَوْرِ بَعْدَ الكَوْرِ، وَدَعْوَةِ المَظْلُومِ، وَسُوءِ المَنْظَرِ في الأهْلِ وَالْمَالِ" (رواه مسلم)، (موقع الدرر السنية، dorar.net، بلا تاريخ).

أما المحاورة فتعني: المجاوبة والتجاوب، وقيل: هم يتحاورون أي: يتراجعون الكلام والمنطق في المخاطبة. وأحار عليه جوابه: ردّه (ابن منظور، (د.ت)، صفحة ١٠٤٣).

وفي حديث سُطيح: فلم يُحِرْ جوابًا أي: لم يرجع ولم يَرُد (ابن الأثير)، (موقع الدرر السنية، dorar.net، بلا تاريخ).

استنادًا إلى المعاني السابقة فمفهوم الحوار قد تطورت دلالته من الزيادة إلى الرجوع والتغيّر، فجاءت منه لفظة المحاورة لتدل على تبادل الآراء والأفكار بين المرسل والمستقبل وتغيُّرها؛ حين يقوم المرسل بذكر معلومةٍ ما فيأخذها المستقبل ويزيد عليها، ولهذا فمن خصائص الحوار الأخذ والرد.

أما في معجم أكسفوردOxford فقد قُسّم الحوار Dialog على نوعين اثنين:

حوار مكتوب وآخر منطوق، وهو عبارة عن محادثة نصية في كتاب أو مسرحية أو فيلم أو في مواد تعليم اللغة، أو هو مناقشة رسمية بين (أ) و (ب) حول شيء هادف (معنى كلمة Dialog)، (موقع معجم أكسفورد dialogue noun - Definition, pictures, pronunciation and usage notes | Oxford Advanced Learner's Dictionary at OxfordLearnersDictionaries.com، بلا تاريخ).

٣,١ مفهوم الاستلزام الحواري Conversational implicature:

إن الاستلزام الحواري مركب وصفي بسيط، تُرجم إلى العربية من المفهوم الإنجليزي:

implicature Conversational

↓ ↓

الاستلزام الحواري

أما اصطلاحًا فقد حظي المفهوم باهتمام الدارسين على اختلاف توجهاتهم الفكرية والمعرفية، فظهرت العديد من التعريفات الاصطلاحية التي حاولت تقديم توصيف دقيق لهذا المفهوم. وما تمكنت الباحثة من رصده ما يلي:

- "A intended the utterance of X to produce some effect in an audience by means of recognition of this intention, where is A mean non- natural meaning of something by X" (Grice, 1957, p. 377)

- المعنى التابع للدلالة الأصلية للعبارة (Richards & Schmidt, 1992, p. 175)

- ما يرمي إليه المتكلم بشكل غير مباشر، جاعلًا مستمعه يتجاوز المعنى الظاهري لكلامه إلى معنى آخر (Matthews, 1997, p. 172)

- التعبير بالمفهوم بدلًا من التعبير عن القصد بالمنطوق،... فالمفهوم هو ما تُستعمل له العبارة بطريقة غير مباشرة، والمنطوق هو ما يتبادر إلى ذهن السامع مباشرة من سماعه الجملة (الشهري، ٢٠٠٤، صفحة ٤٢٩).

- "شيء يعنيه المتكلم ويوحي به ويقترحه، ولا يكون جزءًا مما تعنيه الجملة حرفيًّا" (عبد الحق، ٢٠٠٥، صفحة ٧٨).

- "علاقة منطقية تربط قضية أو جملة أو عدّة جمل بمسارٍ استدلالي حجاجي" (موشلار، ٢٠١٠، صفحة ٥٧١).

استنادًا إلى ما سبق من تعريفات يتبيّن أن الاستلزام الحواري يعتمد على المعنى المراد من سياق الحديثContext of Conversation؛ فكلُّ متكلّم لديه طريقته للتعبير عمّا يقول؛ فإما يقصد قصدًا

مباشرًا واضحًا يصل إلى المستمع، وإما غير مباشر يُضْمَر في البنية العميقة للجملة، وعلى المستمع أن يَفهم ذاك القصد المبطن فيستجيب على أساسه.

ثانيًا: التداولية ونظرية الاستلزام الحواري عند غرايس:

١,٢ الاستلزام الحواري مبحث من مباحث التداولية:

يُعَدُّ الاستلزام الحواري من أهمّ المصطلحات التي تقوم عليها التّداولية Pragmatic عند المحدثين (Grice, logic and conversation: Speech acts, in Syntax and semantics, 1975, p. 47).

ويمكن القول إن Pragmatic لها مقابلات عديدة معربة فقيل براجماتيكا أو البراغماتية أو البراغماتيك، كما توجد مقابلات مترجمة إلى العربية ومنها التداولية، والمقامية، والنفعية، والذرائعية، والوظيفية، والسياقية. لكن ترجمة الأستاذ طه عبد الرحمن سنة ١٩٧٠ تعد الأوفق؛ فالتداولية تعطي معنيين: الأول الاستعمال بين المتكلم والمستقبل، والثاني: التفاعل القائم بينهما، وقد وردت في المعاجم العربية من الفعل دَوَلَ ويعني التحوّل والتناقل (ابن منظور، (د.ت)، صفحة ٣٢٧) / (الزبيدي، ٢٠١١، صفحة ٥٠٦)/ (ابن فارس، ١٩٧٩، صفحة ٣١٤).

ظهر مصطلح Pragmatic على يد الفيلسوف الأمريكي شارل موريس Charles (١٩٠١– ١٩٧٩) حوالي عام ١٩٣٨م في كتابه "أسس نظرية العلامات Foundations of the theory of signs"، بوصفها دراسة بين العلامات ومستعمليها في السياق التواصلي (Morris, 1955, p. 1).

فتتابع اهتمام الباحثين بهذا الحقل المعرفي، وتعد المرحلة الحاسمة في تطور التداولية تزامنت مع أبحاث أوستن J. L. Austin (1911 ـ 1960) وغرايس Paule Grice (١٩١٣– ١٩٨٨)، لتنفتح بعد ذلك على روافد معرفية متعددة جعلتها ملتقى عدة تخصصات (ختام، ٢٠١٦، صفحة ١٥).

يكاد يتفق الباحثون على أنّ أهم مقومات الدرس التداولي أربعة مباحث هي:

١- أفعال الكلام Speech act

٢-ومتضمنات القول Implication

٣-والاستلزام الحواري Conversational implicature

٤-والإشاريات Deixis

٢,٢ مبادئ نظرية الاستلزام الحواري عند بول غرايس:

يرجع الفضل في ظهور نظرية الاستلزام الحواري إلى الأبحاث المتعددة التي ألقاها الفيلسوف البريطاني غرايس ومنها مقالًا عن "المعنى The Meaning" عام ١٩٥٧م، ثم طوّره (نحلة، ٢٠٠٢، صفحة ٣٢)، وتوسع في توصيف العمليات الذهنية اللازمة لفهم الملفوظات وتأويلها في مقاله " المنطق والتخاطب Logic and Conversation" عام 1975م (ختام، ٢٠١٦، صفحة ٩٩).

انطلقت نظرية غرايس من أن جمل اللغة تدل أغلبها على معانٍ صريحة، وأخرى ضمنية تتحدد دلالتها داخل السياق، ومن ثَمَّ فإن المتخاطبين عندما يتحاورون، فإنّ لحوارهم ثلاث حالات (صحراوي، ٢٠٠٥، الصفحات ٣٤-٣٥):

١-قد يقصدون ما يقولون.

٢-وقد يقصدون أكثر ممّا يقولون.

٣- وقد يقصدون عكس ما يقولون.

فكان همه الأساسي هو إيضاح الاختلاف بين:

(١) (٢)

ماذا يقال؟ what is said? | وماذا يقصد؟ what is mean?

أي: ما تعنيه الكلمات والعبارات صراحةً. | ما تتضمنه الكلمات والعبارات من مقاصد ضمنيًّا.

إن أهم مميزات الاستلزام – من حيث كونه آلية من آليات إنتاج الخطاب – أنه يُقدِّم تفسيرًا صريحًا لقدرة المتكلم على أن يعني أكثر مما يقول بالفعل؛ أي أكثر مما تؤديه العبارات المستعملة (فاخوري، ١٩٨٩، صفحة ١٤١)/ (سيرل، ٢٠٠٦، صفحة ٢١٢).

وأن هناك مجموعة من المقومات المتمثلة في المعتقدات والعادات والمعارف المشتركة تتدخل في تحديد المدلولات، وغيرها من المقتضيات التي تُمَكّن المستمع من استخراج ما هو صريح وما هو ضمني أو مستلزم حواريًّا فيما بلّغه له المتكلم. (فاخوري، ١٩٨٩، صفحة ١٤٢).

وفقًا للنظرية اقترح غرايس تقسيم العبارات اللغوية كالآتي (صحراوي، ٢٠٠٥، صفحة ٣٦):

١–المعاني الصريحة: والتي تدل على المعنى المقصود بواسطة الجملة نفسها، وتشمل على:

–المحتوى القضوي: هي مجموعة المعاني الظاهرة لمفردات الجملة التي تربط بعضها ببعض في علاقة إسناد.

–القوة الإنجازية: هي القوة الدلالية المؤشر لها بأدوات تضع الجملة في صيغة أسلوبية: كالاستفهام، الأمر، النهي، التوكيد...

٢–المعاني الضمنية: التي تدل على معان أخرى غير واضحة بواسطة الجملة نفسها، وتشمل على:

–معانٍ عرفية: هي الدلالة التي ترتبط بالجملة ارتباطًا أصيلًا وتلازمًا في مقام معين مثل معنى الاقتضاء.

–معانٍ حوارية: هي التي تتولد طبقًا للمقامات التي تنجز منه الجملة مثل الدلالة الاستلزامية.

ويمكن تجسيد تلك المستويات الدلالية من قوله تعالى: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ}(الحديد:١٦) في شكل مشجر توضيحي مشابه لما وضعه الأستاذ مسعود صحراوي (صحراوي، ٢٠٠٥، صفحة ٣٦):

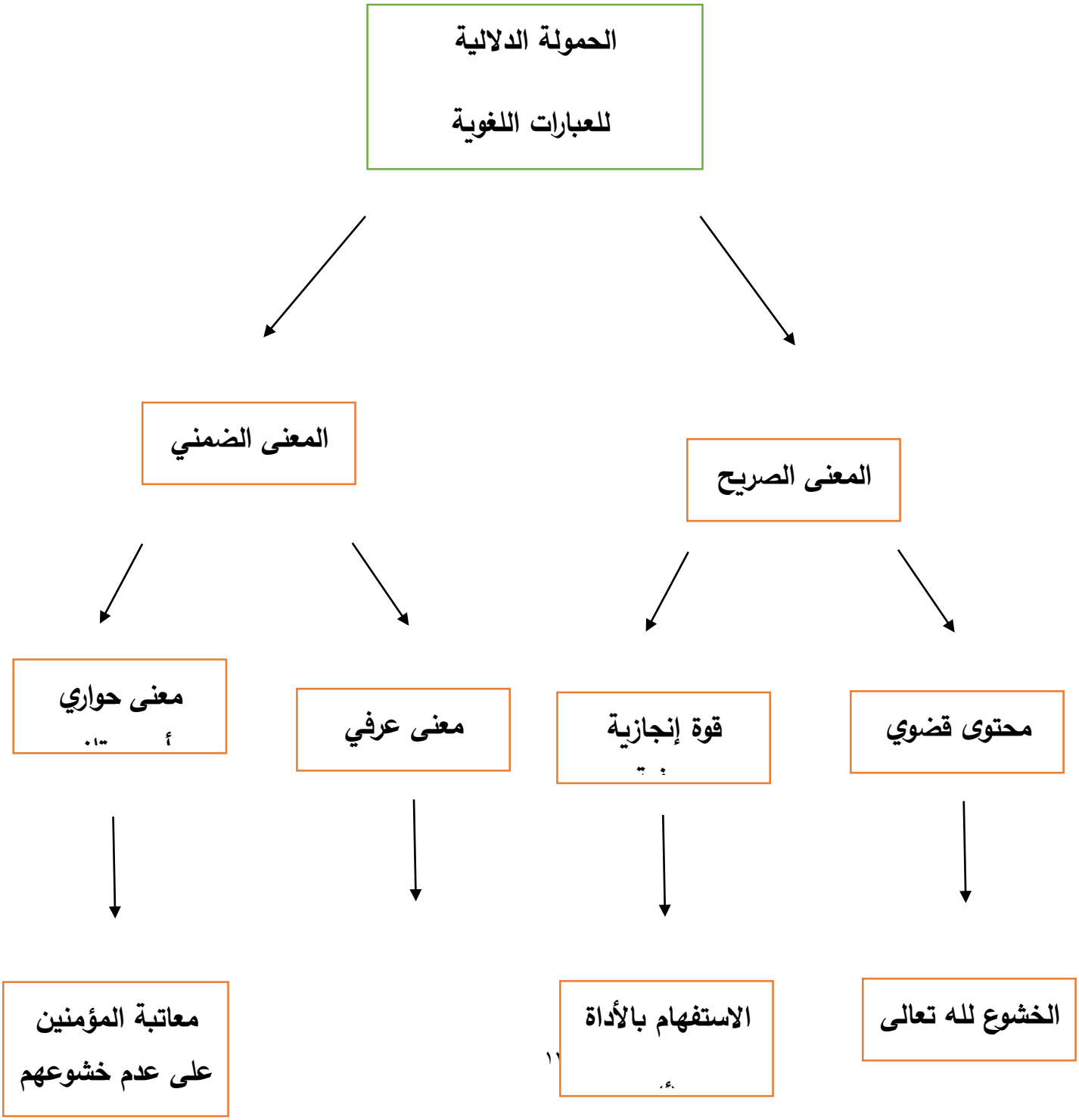

اقتضاء خشوع المؤمنين لله تعالى

ثم انشغل غرايس – في مرحلة لاحقة – في الإجابة عن سؤال: كيف يكون ممكنًا أن يقول المتكلم شيئًا ويعني شيئًا آخر؟ ثم كيف يكون ممكنًا أيضًا أن يسمع المخاطب شيئًا ويسمع شيئًا آخر؟

وقد وجد حلًّا لهذا الإشكال فيما سمّاه مبدأ التعاون بين المتكلم والمخاطب. وتتجسد فكرته هذه في مساهمة المتكلمين وتحكمهم في المبادلة الخطابية، ومن ثم تحقيق التشارك بين أطراف الحوار في سياق محدد (ختام، ٢٠١٦، الصفحات ١٠١-١٠٦).

وصاغه على النحو التالي:

ينبغي أن تكون مساهمتك الحوارية بمقدار ما يطلب منك في مجال يتوسل إليه بهذه المساهمة، تحدوك غاية الحديث المتبادل أو اتجاهه، أنت ملتزم بأحدهما في لحظة معينة (Grice, logic and conversation: Speech acts, in Syntax and semantics, 1975, pp. 41-58).

تكشف صيغة المبدأ عن أربعة قواعد فرعية أو مسلمات حوارية –كما أطلق عليها الأستاذ مسعود صحراوي – (صحراوي، ٢٠٠٥، صفحة ٣٥):

١-القدر أو الكم Maxim of quantity: أن تكون الرسالة بالقدر المطلوب، دون إيجاز شديد ولا إسهاب شديد فيقول المتكلم ما هو ضروري بالقدر الذي يضمن تحقيق الغرض.

٢-الكيف Maxim of quality: أن تكون الرسالة صادقة لا تحتاج إلى برهنة صدقها. فالمحاور لا ينجح في حواره بما يراه كذبًا أو غير إقناعي وبما لا يستطيع البرهنة عليه لأنه يضعف حجته.

٣-الملاءمة أو المناسبة Maxim of relation: أن تكون ردود المستمع مناسبة للسياق الاجتماعي المستقبَل.

٤-الطريقة Maxim of manner: أن تكون ردود المستمع واضحة ومرتبة متجنبًا الإبهام واللبس والاضطراب في الترتيب والخلل المنطقي في الحوار.

وقد وصف الأستاذ طه عبد الرحمن تلك القواعد الفرعية قائلًا:" لقد أُريد بهذه القواعد التخاطبية أن تنزل منزلة الضوابط التي تضمن لكل مخاطبة إفادة تبلغ الغاية في الوضوح، بحيث تكون المعاني التي يتناقلها المتكلم والمخاطب معاني صريحة وحقيقية، إلا أن المتخاطبين قد يخالفان بعض هذه القواعد ولو أنهما يدومان على حفظ مبدأ التعاون، فإذا وقعت هذه المخالفة فإن الإفادة في المخاطبة تنتقل من ظاهرها الصريح والحقيقي إلى وجه غير صريح وغير حقيقي، فتكون المعاني المتناقلة بين المتخاطبين معانٍ ضمنية" (عبد الرحمن، ٢٠٠٧، صفحة ٢٣٩).

تستنتج الباحثة من قول عبد الرحمن هذا أن المتكلم والمخاطب يعبران بالمفهوم بطريقتين:

الطريقة الأولى: الاستلزام الحواري النموذجي Standard implicative أو الاستلزام المعمم كما سمّاه الأستاذ محمود أحمد نحلة، ويعني التزام المتكلم والمخاطب للقواعد التخاطبية (نحلة، ٢٠٠٢، صفحة ٣٥).

مثال:

المرسل: هل الجو حار هذا اليوم؟

المخاطب: نعم؛ الجو حار.

هذه المحاورة القصيرة التزمت قواعد مبدأ التعاون؛ فقد أجاب المخاطب إجابة واضحة (الطريقة)، وكانت صادقة (الكيف)، واستخدم القدر المطلوب من الكلمات بلا زيادة أو نقصان(الكم)، وكذلك

أجاب إجابة ذات صلة وثيقة بالسؤال (المناسبة). ومن ثم لم يتولّد عن قوله أي اسلتزام؛ لأنه قال ما يقصده.

الطريقة الثانية: الاستلزام الحواري الضمني Conversational implicature، ويحدث إذا حصل خرق لقاعدة أو أكثر من القواعد السابقة.

والمثال الآتي فيه خرق لقاعدة الملاءمة:

المرسل: هل الجو حار؟

المخاطب: سأفتح المكيف.

هنا جاء رد المخاطب مخالفًا للتوقعات؛ أي أنه لم يرد على السؤال ردًّا صريحًا بـ(نعم/لا) ولكنه فهم ضمنيًّا ما يقصد المرسل، لذلك خرق قاعدة الملاءمة، فوجب حضور الاستلزام الحواري؛ لأن جملة المرسل لها معنيين: المعنى الصريح وله وظيفة إخبارية، والآخر الضمني المقصود وهو (افتح المكيف). ولهذا أصبحت (هل الجو حار؟) = (افتح المكيف) من خلال السياق المعرفي الذي يمتلكه المتحاوران أن الجو عندما يكون حارًّا يجب فتح المكيفات لتعديل حرارة المكان.

وعلى ذلك الأساس أصبح تأويل الملفوظات رهينًا بثلاثة عوامل (ختام، ٢٠١٦، صفحة ٩٩):

-معنى الجملة.

-السياق اللساني وغير اللساني.

-مبدأ التعاون.

إذن فالمتحاورون يقبلون ضمنًا بجملة من القواعد والمواضعات والمقاصد والخلفيّات والتّخمينات المعرفيّة المشتركة، وهي أسس تحكم عمليّات التّواصل، فتسهم تلك الأسس في تنظيم التواصل أثناء الحوار، بشرط أن يلتزم كل منهم بقواعد مبدأ التعاون المتفق عليها. أما إذا خالف المتحاورون بعض قواعد مبدأ التعاون الصريحة، فيجب على الطرف الآخر القيام بعملية فهم وتفسير كلام المتحاور بناءً على الأسس المشتركة بينهم.

الإطار التّطبيقيّ: الاستلزام الحواري في رواية "مَن قتل الفلامينكَو؟!":

سيتم تحليل نماذج مختارة من الحوارات المتنوعة بين شخصيات رواية "مَن قتل الفلامينكَو؟!" للكاتب العراقي سمير العزّاوي، بحسب قواعد مبدأ التعاون ونظرية الاستلزام الحواري عند غرايس، كما هو موضح في السطور التالية:

أولا: لمحة عن الرواية وكاتبها:

١,١ لمحة عن رواية "مَن قتل الفلامينكَو؟!":

يقول الكاتب عن الرواية أنها "تستوعب... الوجع العراقي تاريخًا في الزمن الواقع بين سنة ألفين وثلاث حتى ألفين وأربع عشرة من زمن الاحتلال والفشل، وفي الأحداث قساوة، ولكنّها حياة العراقيين لا يمكن أن تروى بلا ملح الحزن، بعيداً عن التزويق... تدور الأحداث في بغداد ودوسلدورف عن مثقَّفَين عراقيَّن تنفسا العراق فملك عليهم جلّ طموحاتهم، وقدّما لأجل ذلك التضحيات لكنّهما اكتشفا – في النهاية – أن العمل في العراق للعراق غاية في الصعوبة، لذلك اكتفيا بما قدّما للوطن، وتركا للأجيال القادمة أمل التغيير" (العزاوي، ٢٠١٨، الصفحات ١١-١٢).

حاول الكاتب في اثنتين وعشرين ومئتين (222) صفحةً "دغدغة مشاعر المتلقي وتوجيه أنظار العالم إلى مآسي العراقيين بنقله إلى مسرح الأحداث جاذبًا له على سبيل التفاعل، لكنّ الكاتب يَوَدُّ أن يؤكد أن اهتمامه بعلم النفس يجعله يؤسس رسائله على أساس الوعي بمفهومه الثقافي مدخلًا أبستمولوجيا ضروريًّا لفهم طبيعة المجتمع العراقي من حيث البنية السوسيو ـ نفسية وآليات التغيير

في الثابت والمتحوّل ولعلّها تتفق مع من يكتب عن صراع مزمن بين أيدولوجيا الوعي وأمراض الجهل وتداعياته في السوسيو ـ نفسية للعقلية الجمعيّة ما بعد الاحتلال، وعليه فإن الشعب هو محور العملية التنظيمية في السلوك والمؤثر، ومن ثم التغيير نحو غدٍ، لجيل من الناس ينشد الأمل، هذا ما جعل أبطال العمل يغيّرون من قناعاتهم وفقاً لاستراتيجيات مخبرية تجريبية" (العزاوي، ٢٠١٨، الصفحات ١٢-١٣).

٢,١ لمحة عن السيرة الذاتية للدكتور سمير العزاوي:

الدكتور سمير إبراهيم العزّاوي هو كاتب وروائي عراقي من مواليد بغداد عام ١٩٦٧م، وباحث في السيميائيات التحليلية وفلسفة اللغة، حاصل على دكتوراه الفلسفة في اللغة العربية وآدابها عام ٢٠١٠م بتقدير ممتاز، وماجستير بتخصص اللسانيات الحديثة من جامعة آل البيت في الأردن عام ١٩٩٠م.

درّس اللغة العربية كلغة أولى في المرحلة الثانوية في العراق والأردن واليمن وقطر. كتب عنه الأستاذ أحمد الجدع – رحمه الله – في الجزء الثاني من كتابه الموسوم بـ"معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين"، وكتبت عنه الباحثتان أشواق بولعراس ونسيمة جقبوب في مرحلة البكالوريوس بحثًا بعنوان: "البنية السردية في المجموعة القصصية "وجع الياسمين" لسمير العزاوي" من جامعة أكلي محند أولحاج البويرة في الجزائر للعام الأكاديمي ٢٠١٨/٢٠١٩.

له مؤلفات أكاديمية وأدبية عديدة منها: التفكير السيميائي وتطوير مناهج البحث الإبلاغي المعاصر دراسة في اللسانيات المقارنة، وجع الياسمين (مجموعة قصصية)، مَن قتل الفلامينكَو؟! عن رجال يتنفسون العراق، العائدون من مواسم الحزن (رواية طي الكتابة) (موقع كتب وروايات الدكتور سمير العزاوي، كتب وروايات د.سمير العزاويFacebook |).

ثانيًا: مظاهر الاستلزام الحواري في نماذج من الرواية:

في هذا المبحث سيتم تحليل النماذج المختلفة لنوعَي الاستلزام الحواري (النموذجي والضمني) بين الشخصيات في رواية "مَن قَتل الفلامينكَو؟!"

النوع الأول: الاستلزام النموذجي:

من أمثلة الحوار النموذجي الملتزم بالقواعد التخاطبية النماذج الآتية:

النموذج الأول

جهزت ندى زوجة حسن "الدولمة"، فدار حوار بين حسن وابن أخته:

يلتفت [حسن] إلى عزوز، يقول له: هل تأكل معي؟

يجيب [عزوز]: نعم. (العزاوي، ٢٠١٨، صفحة ١٢٥)

هذه المحاورة القصيرة بين حسن وابن أخته عزوز التزمت قواعد مبدأ التعاون؛ فقد أجاب عزوز إجابة واضحة (الطريقة)، وكانت صادقة (الكيف)، واستخدمت القدر المطلوب من الكلمات بلا زيادة أو نقصان(الكم)، وكذلك أجاب إجابة ذات صلة وثيقة بسؤال حسن (المناسبة). ومن ثم لم يتولّد عن الإجابة أي اسلتزام؛ لأن عزوز قال ما يقصده وصرّح به.

النموذج الثاني

ينوي حسن شراء بيت في منطقة مناسبة حيث الهدوء والراحة؛ ليسكن فيه مع زوجته ندى، فيبدأ حوار بين حسن وعبد الله زوج أخته عن البيت:

حسن يوجه السؤال لعبد الله: هل البيت جيد البناء ومساوٍ لسعره المعروض؟

عبدالله: نعم هو جيد ومناسب كليًّا، وإن أحببت نذهب عصرًا إلى البيت حتى نراه.

في العصر ذهب حسن وعبد الله ليريا البيت، انشرح صدر حسن لهذا البيت، ولم يأبه بما سيقدمه مقابلًا... (العزاوي، ٢٠١٨، صفحة ٣٨)

التزم حسن وزوج أخته عبد الله بقواعد مبدأ التعاون؛ فقد أجاب عبد الله إجابة واضحة (الطريقة)، وكانت صادقة (الكيف) حين ذهبا لرؤية البيت فأُعجب حسن به، واستخدمت القدر المطلوب من الكلمات بلا زيادة أو نقصان(الكم)، وكذلك أجاب إجابة ذات صلة وثيقة بسؤال حسن (المناسبة). ومن ثم لم يتولّد عن الإجابة أي استلزام؛ لأن عبد الله قال ما يقصده وصرّح به.

النموذج الثالث

التقى حسن وكمال بصديقهم السكرتير في السفارة الألمانية ببغداد كارل آخينباخ أو كما يسموه "كارول" في جلسة غداء على السمك المسكوف ودار حوار بينهم:

كمال: كيف وجدت بغداد كارول؟

كارول: متناقضة...!

حسن: كيف؟!

كارول: كثيرًا ما قرأت عنها فلم أجد فيها ألف ليلة وليلة، ولا الارتياح في وجوه العابرين الحياة...!

حسن: لتعلموا، كم هو سيء ذلك الاحتلال...!

كمال: لقد تغيّر وجه الحياة مرّة بعد مرّة... يقولها بحسرة.

كارول: نعم صحيح، الحروب وتوابعها فتكت بألمانيا، لكنها بدأت تنهض لأن الألمان أرادوا ذلك.

حسن: بالضبط، لا يمكن أن تقوم قائمة للعراق من دون تكاتف الشعب. (العزاوي، ٢٠١٨، الصفحات ٨٦-٨٧)

الحوار بين الأصدقاء الثلاثة كان ملتزمًا بقواعد مبدأ التعاون؛ فقد أجاب "كارول" إجابات واضحة (الطريقة)، وكانت صادقة (الكيف)، واستخدمت القدر المطلوب من الكلمات بلا زيادة أو نقصان(الكم)، وكذلك أجاب إجابة ذات صلة وثيقة بسؤال كمال (المناسبة). ومن ثم لم يتولّد عن إجاباته أي استلزام؛ لأن "كارول" قال ما يقصده وصرّح به، ثم أدلى كل منهم بمعلومة حول الموضوع نفسه بطريقة واضحة، فقدم "كارول" مثالًا لكلام كمال "لقد تغيّر وجه الحياة مرّة بعد مرّة" عن بلده الذي فتكت به الحروب إلا أن الشعب بإرادته القوية نهض من جديد ببلده، ولهذا أضاف حسن أن العراق كما ألمانيا وسينهض بشرط أن يتكاتف الشعب.

النموذج الرابع

نسج حسن حوارًا داخليًّا بينه وبين نفسه وهو في بيت خالته في "تل امحِمد"، قال:

... هم مازالوا في عقائدهم، لآل البيت عندهم مكانة جد سامية مثل كل المسلمين، يترحمون على الصحابة، يدفنون موتاهم في النجف، ولم يجرِ على ألسنتهم في أي يوم ذكرٌ لما حدث في سقيفة المؤمنين صحابة رسول الله، لا نقدًا ولا إبداء رأي...، وأين الإشكال في هذا؟!، من حق أي إنسان أن يتبنى الموقف الأيديولوجي الذي يعتقده مناسبًا، ما دام الأمر لا يدخل دائرة العنف المتبادل، فلا شيء يأتي بقوة السلاح.

هم يحبون خالتهم أمّ حسن حبًّا جمًّا، رابطة الدم بين العائلتين أقوى من مؤامرات جلّ السياسيين الذين يتنفسون كره العراق.

كيف يمكن بناء العراق وفقًا لتلك المفاهيم التي ترزح تحت نير الجهل والتخلف، ولِمَ أصبح هؤلاء المرتزقة عبيدًا للمجهول، هل رضعوا فعلًا من حليب العراق؟!، يقينًا ليس هؤلاء "وِلْد المَلْحة"...، ولد الملحة أولئك المغيبين الذين أذهلهم ما آل إليه العراق العظيم حتى الصمت والانكفاء... قال لنفسه.(العزاوي، ٢٠١٨، الصفحات ٨٥-٨٦)

مما لفت نظر الباحثة في حوارات الشخصيات أن بعضها يكون الحوار في الشخصية نفسها أي بينها وبين نفسها، ولعل هذا النوع من الحوار الداخلي اختاره الكاتب لإيصال رسالة واضحة إلى المتلقي على لسان الشخصية بما يؤمن به ويعتقده، وفي هذه الحالة يكون المُرسِل "حسن" والمُستقبِل هو "المتلقي"، تاركًا له مساحة من حرية الفهم والتأويل.

حوار حسن الداخلي يُقَدَّم للقارئ – اعتباره المستقبل – وصفًا لشيعة العراق في تلك الفترة على الرغم من الحرب الطائفية التي حصلت عام ٢٠٠٧، فآل البيت عند الشيعة كمسلمين "مكانة جد سامية" كـ"المسلمين" من السنّة، و"يترحمون على الصحابة"، "ولم يجرِ على ألسنتهم في أي يوم ذكرٌ لما حدث" أيضًا في موضوع "السقيفة" "لا نقدًا ولا إبداء رأي". ثم طرح سؤاله "أين الإشكال في هذا؟" وهو يقصد ألّا إشكال فيما يفعله المسلمون سنة وشيعة من تقبل لبعضهم البعض، فـ"رابطة الدم بين العائلتين" السنية والشيعية خير شاهد على أنهم "أقوى من مؤامرات جلّ السياسيين" الذين يكرهون العراق وأهله فأوصلوه إلى طائفية مزيفة، إذ لا فرق بين الطائفتين في نهاية الأمر، و"من حق أي إنسان أن يتبنى الموقف الأيديولوجي الذي يعتقده مناسبًا" بشرط ألّا يدعوه موقفه الأيديولوجي أن ينبذ الآخر أو يقلل من شأنه أو من اعتقاده.

النوع الثاني: الاستلزام الضمني:

أما النوع الثاني فكما ذُكِرَ في المبحث النظري أنه يحدث عند خرق قاعدة أو أكثر من قواعد مبدأ التعاون:

وتَحلّل الباحثة في السطور التالية نماذج خرقت كل قاعدة مما سبق:

١-خرق قاعدة الكم:

النموذج الأول

بعدما عبر حسن إلى العراق من مكتب الكرامة الحدودي غربًا، استأجر سيارة وكله شوق إلى رؤية بغداد وشوارعها فضلًا عن شوقه للقاء أهله:

بعد برهة من صمت سأل [حسن] سائقه: كم بقي علينا لتطال أعيننا مدينة الرمادي؟

أجاب السائق: ربما ساعة، نحن الآن على مفترق الـ"خمس والثلاثين كيلو" (العزاوي، ٢٠١٨، صفحة ١٨)

خرق هذا الحوار قاعدة الكم؛ فإجابة السائق كانت أكثر مما هو مطلوب منه، في حين أنه من المفترض أن يقتصر الإجابة بـ"ربما ساعة"، لكنه قام بذكر المكان أيضًا لحسن وهو لم يسأله عن المكان مباشرة، وقد يكون السبب في خرقه هذه القاعدة أنه لاحظ حماس حسن واستعجاله للوصول إلى منطقته؛ ليكون بين أهلهِ.

النموذج الثاني

نجد هذا الخرق أيضًا في حوار حسن مع نادله عدنان بعد تقديمه لأكواب الشاي في المكتب:

حسن يسأل عن أحواله وأحوال أهله...

عدنان:"عايشين يا أستاذ من قلة الموت!"

حسن يثير الجواب فضولًا في نفسه، فيقول له:"هاه شلون سولف!"

عدنان:"والله أستاذ"... يقولها بما يشبه التهكم، "ما يكفينا الموت إنوب الطائفية؟!"

حسن: "سولف أبو قحطان" (العزاوي، ٢٠١٨، صفحة ٨٣)

من المُلاحظ في الحوار الذي دار بين حسن ونادله أن النادل عدنان قام باستدراج حسن ليتمكن من الحديث عما حصل معه؛ في حين أنه من المفترض أن يجيب بالقدر المطلوب من السؤال الموجه له مبتعدًا عن الغموض، ولكن آثر – ضمنيًّا – خرق قاعدة الكم بإضافته لجملة "من قلة الموت" بعد "عايشين يا أستاذ"، مما أثار حسن لطرح سؤال آخر ليتمكن من فهم نادله أكثر ومعرفة ما جرى معه.

وكذلك فالحوار يحمل خلفية معرفية مشتركة في قول حسن: "سولف أبو قحطان" وهي كنية متعارف عليها عند العراقيين لكل شخص اسمه عدنان، سواء أكان متزوجًا أو غير متزوج، لديه ولد اسمه قحطان أو ليس لديه. فكل عدنان أبو قحطان وكل قحطان يكنى بأبي عدنان، وغيرهم كثير مثلًا محمد كنيته أبا جاسم وعلي أبا حسين وهكذا. ولأن الخلفية المعرفية مشتركة بين حسن وعدنان فلم ينبّهه الأخير أنه غير متزوج مثلًا.

٢–خرق قاعدة الكيف:

النموذج الأول

في منتصف حوار طال بين الحجي وكمال الذي اختطفوه مع حسن:

الحجي: هاااا، يزم شفتيه، كم عدد الألمان في العراق؟

كمال يبهت للسؤال، يستجمع قواه، يحبس أنفاسه، يلتفت نحو جهة الحارس، يجيب: خمس وثلاثون مليونا...!

الحجي يفاجأ، يغضب، يقول: "لك شنو إنت تضحك علينا؟!"

كمال: أنا أعرف عدد سكان العراق... وليس لدي معلومات استخباراتية...(العزاوي، ٢٠١٨، صفحة ٩٦)

يحمل الحوار خرقًا لقاعدة الكيف؛ لأن كمال يحمل الجنسية الألمانية فلا يستطيع برهنة صدق معلومته التي قدمها عن "عدد الألمان في العراق"؛ لأن هذا السؤال من "الحجي" أراد به أن يستدرج كمال للإجابة بشكل صريح حتى يتهمه بخيانته للعراق؛ ليترتب على ذلك أمورًا أخرى لن تسرَّ كمال، فآثر كمال أن يخرق القاعدة بإجابة غير مقنعة وليس لها أساس من الصحة؛ ليبين أنه على الرغم من حصوله على جنسية أخرى، فأصله يبقى عراقي، ويعرف "عدد سكان العراق" فقط، ثم خرق أيضًا قاعدة الكم بإضافته لجملة " ليس لدي معلومات استخباراتية"، حتى يبين لـ"الحجي" أنه يعرف ألاعيبهم ولن تنطلي عليه؛ فهو عراقي بريء وغير خائن لبلده أو جاسوس وإنما يعمل للعراق ومن أجل العراق.

٣-خرق قاعدة المناسبة:

النموذج الأول

عندما عاد حسن إلى برلين تناول هاتفه قاصدًا إيلينا صديقتهم القديمة فدار حوارهما عبر الهاتف:

إيلينا: هل العراق بخير أم نالت منه الحرب؟

حسن: الرجل المريض سيأتي عليه يوم ويتعافى.... إنه العنقاء. (العزاوي، ٢٠١٨، صفحة ١٥٣)

إجابة "حسن" لم تكن مناسبة لسؤال "إلينا"، فهي فتاة إيطالية وتريد أن تعرف ما جرى في العراق من حسن الذي زاره مؤخرًا، وسؤالها فيه تخيير بين "العراق بخير" أو "نالت منه الحرب " ثم بعدها يمكن أن تحاوره بحسب اختياره، وبذلك كان عليه أن يختار إما أن: "العراق بخير"، أو يجيب أن "الحرب نالت منه"، لكنه قصد من إجابته غير المناسبة أن العراق وإن كان الآن ليس بخير ونالت الحرب

منه إلا أنه سيتعافى كما يتعافى الرجل من مرضه وكما الطائر الأسطوري العنقاء، فمهما جرى له ينهض من جديد وكأنه لم يقع.

النموذج الثاني

في حوار بين حسن وكمال وهما في الزنزانة بعد اختطافهما من قِبَل ملثمين، يتذكران بحسرة أيام السبعينات والماضي الجميل:

كمال: أنت مصرّ على قهر مساحات الرجولة في دمي، أرجوك عش بعيدًا عن بئرك الأولى، الماضي لن يعود، ومن العبث أن تؤرشف الذكريات في خيالك الموجع.

حسن: إن لم نتلذذ بالعودة إلى الحياة الباسمة سيقتلنا هؤلاء وأسيادهم كما قتلوا "الفلامينكو" (العزاوي، ٢٠١٨، صفحة ٩٤).

خرق هذا الحوار قاعدة المناسبة؛ فكمال يطلب من صديقه حسن أن ينسى الماضي والذكريات الجميلة والعيش في اللحظة الحالية وبناء تصور للمستقبل على ضوئها، لكن حسن لم يقتنع بما قاله صديقه إلا أنه لم يقل له أنه لم يقتنع وإنما رد عليه بِرَدٍّ يوحي بعدم اقتناعه؛ لأنهم سيُقْتلون من قِبل "هؤلاء وأسيادهم" ويقصد العصابة الملثمة التي اختطفتهم وأسيادهم ومن على شاكلتهم، ثم شبه قتل هؤلاء للعراقيين "كما قتلوا "الفلامينكو" " الذي كان يتواجد في العراق لكنه بندرة، فقام بعض العراقيين بقتل هذا الطائر ولم تهتم الحكومة لهذا الأمر في حين أنه من المفترض إنشاء محميات لهذا الطائر. وتشبيه حسن للعراقيين أنهم مثل "الفلامينكو" يريد إيصال رسالة أن العراقيين أصبحوا نادرين في هذا البلد بسبب قتل من ليس بقلبهم رحمة لهم. وربما يكون عنوان الرواية مستمد من حادثة طيور الفلامينكو التي قتلت في العراق، ولهذا أراد الكاتب ذكرها في هذا الحوار.

٤-خرق قاعدة الطريقة:

النموذج الأول

بعد أن تحدث حسن مع نادله عدنان وخرق الأخير قاعدة الكم سابقة الذكر، شرح له عدنان ما جرى معه:

عدنان: "يوم الجمعة رحت لحي الجامعة حتى أشوف بيت أختي من زمان ما شفتهم، وكَفوني مجموعة ملثمين، وكَعدوا يسولفون وياي، وبعدين ياالله فهمت السالفة، ابن أختي همس بإذني إذا سألوك كَول دُخن، بضم الدال، تعجبت... سألوني إذا عندك طير وكَر على سطح بيتكم شنو تنطيه أكل؟!"، تذكرت ما قاله ابن أختي فقلت: دُخن..! نظروا إلى بعضهم وهزوا رؤوسهم، وقالوا لي اذهب...!

حسن: "وشنو يعني هذا؟!"

عدنان: معناها أنا من الأعظمية..!

حسن: لكنّك من الكاظمية؟!

عدنان: "إي نعم"، لكن لو قلت دِخن بكسر الدال، لكنت في خبر كان.

حسن ينظر إلى دكتور كمال، ويقول: "والله ما أدري يا دكتور، نضحك، نبجي على هذا إلي ديصير بالعراق...!"(العزاوي، ٢٠١٨، الصفحات ٨٣-٨٤)

فحصل الموقف نفسه مع حسن وهو في طريقه إلى زيارة خالته في حي "تل امحِمد":

قالوا له: هل أنت مجنون، إن أمسكت بك العصابات ستفعل الأفاعيل...، قال: الله الحافظ...!

سيارته تتدافع عجلاتها، مصطحبًا، أمه، زوجه ندى، عماد شقيقه وعزوز رفيقه اللدود، قريبًا من حي الأمين في بغداد الجديدة، توقفه مجموعة مارقة، تسأله: لو أن طيرًا وكر على سطح بيتكم "شنو تنطيه أكل؟!"

تذكر [حسن] ما حصل مع عدنان، سأل نفسه هل هذه المنطقة شيعية أو سنية؟

هو لم يكن بهذه السذاجة ولو سألوه عن بطاقته، لا إشكال في ذلك فهو يحمل بطاقتين شخصيتين بأسماء مستعارة، تحوي التوجه الطائفي.. (العزاوي، ٢٠١٨، صفحة ٨٤)

سؤال المجموعة المارقة خرق قاعدة الطريقة؛ فالسؤال غير مناسب للمقام الذي سُئِل فيه، ومن المفترض أن يسألوه أسئلة أمنية مثل: إلى أين أنت ذاهب؟، ويطلبون منه أن يبرز هويته، أو يقومون بتفتيش السيارة للتأكد من خلوها من الممنوعات، لكن هذا السؤال كان يوجَّه في تلك الفترة لكل شخص يمر من منطقة سنية أو شيعية، وقد تكون هذه "المجموعة المارقة" خارجة عن القانون لكنها كانت تقف في بداية المحافظة السنية أو الشيعية، وتسأل هذا السؤال متضمّنًا مقصدًا محدّدًا وهو أنهم يريدون معرفة إذا كان المجيب عن السؤال سني أو شيعي، دون استعمال سؤال واضح وصريح: أنت سني أم شيعي؟، وإنما اعتمدوا على السؤال غير الصريح ليجيب صاحب السيارة بـ(دُخن) أو (دِخن)، وهكذا ستُفهَم الإجابة من خلال "اللكنة" التي يتحدث بها المقابل، فالسني يقولها بضم الدال أما الشيعي فيقولها بكسر الدال، وإذا أجاب شخص (دِخن) للمجموعة المارقة وهو متجه إلى منطقة سنية مثل "الأعظمية" ستفعل به الأفاعيل ويُخطَف دونما نقاش، وإذا أجاب (دُخن) وهو متجه إلى منطقة شيعية مثل "الكاظمية" و"تل امحِمد" سيُخطَف أيضًا، إلا أن حسن يمثل غالبية العراقيين في تلك الفترة، فلم يكونوا "بهذه السذاجة"، ولذلك كان لديهم بطاقتين شخصيتين بأسماء مستعارة تدل على الطائفة مثلًا: بطاقة تحمل اسم عمر إذا كان يريد أن يدخل إلى المنطقة السنية، أو اسمه علي إذا كان يريد أن يدخل إلى المنطقة الشيعية، بالرغم من أن اسمه ليس عمرا أو عليا، وربما يكون اسمه عليا وهو سني أو عمرا وهو شيعي، لكن تلك الفترة كان العراقيون يُقْتَلون لمجرد توجههم الطائفي.

النموذج الثاني

بعد اعتقال حسن وصديقه كمال من قِبَل عصابة ملثمة دار حوار بين الحجي وحسن:

الحجي يباغته بسؤاله: سني لو شيعي؟

حسن: عراقي...!

يصفعه الجلادون بقسوة على صفحتي وجهه، ويقول له: "جاوب لا أنعل والديك"

الحجي: سني لو شيعي؟، بسرعة

حسن: "ما أعرف"، لكن أبي سني وأمي شيعية...! ولم أشهد حديثا في العائلة بهذا الاتجاه.(العزاوي، ٢٠١٨، صفحة ٩٧)

خرق الحوار قاعدة الطريقة؛ لأن "الحجي" عراقي والمخطوف "حسن" عراقي أيضًا ومن المفترض ألا يسأله عن طائفته إن كان فعلًا عراقيا وهمه أن يحمي أبناء شعبه من المندسين، لكن تلك المرحلة كانت العصابات تخطف العراقيين على طائفتهم، وتسألهم مثل هذه الأسئلة بهدف استفزاز مشاعرهم كما حصل مع حسن حين أجاب إجابة لا تناسب السؤال المطروح عليه بكلمة "عراقي"، وأراد خرق هذه القاعدة؛ لكي يؤكد للمستمعين أنه عراقي وأن انتماءَهُ للعراق فقط بغض النظر عن طائفته، لكن إجابته استفزت "الحجي" فهدده – بـ"أنعل والديك" وهي عبارة متعارف عليها عند العراقيين وتقال للتهديد والوعيد – بعد أن صفعه على خديه أن يجيب عن السؤال بشكل مباشر، فأجاب حسن إجابة أخرى غير مباشرة بقوله "ما أعرف" واستدرك بعدها متعجبًا من إصرارهم على الإجابة أن والده سني وأمه شيعية فخرق قاعدة الكم، وأضاف أنه لم يشهد "حديثًا في العائلة بهذا الاتجاه"، وإجابته صادقة؛ لأن العراقيين كانوا يتزوجون من دون أن يُطرح سؤال على الخاطب إن كان سنيًّا أو شيعيًّا فاختلطت الأنساب ما بين الطائفتين بكل مودة ورحمة.

ومن المفيد هنا القول: إن دراسات إثنوغرافيا الكلام Ethnography of speaking قد اهتمت بعدة عناصر مهمة في لسانيات الخطاب ومنها جانب دلالة العلاقة الاجتماعية والأشكال الكلامية، ففي هذا الاتجاه يُعدُّ التحديد اللغوي للمكانة الاجتماعية – وسمات أخرى – ذات أهمية إنثروبولوجية Anthropological ومعجمية lexical في ذات الحين؛ فالأسماء التي أطلقها الكاتب على

شخصيات الرواية هو بالأساس يدل على بُعد ثقافي إنثروبولوجي له علاقة بسمات فيزيائية أو نفسية أو اجتماعية (معاذ، ٢٠١١، صفحة ٢٣)/ (راضية، ٢٠٢١، صفحة ١٥٨).

وعليه فاسم حسن: بُعد جمالي شكلي فيزيائي، وزوجته ندى: بُعد نفسي – رمزي، ونادله عدنان: مشتق من العَدْن ومعناه: مقيم، مستوطن، دائم البقاء وهو ما يدل على بُعد اجتماعي أي أنه دائم البقاء في العراق. وأخوه عماد معناه: البناء العالي، ما يُسند به وهو بُعد ثقافي لأنه كان دائمًا يساعد أخيه. وابن أخته عزوز والمقصود عبد العزيز وكذلك عبد الله زوج أخته الثانية يدلان على بُعد ديني.

- الخاتمة والنّتائج والتوصية:

بعد هذه المحاولة المتواضعة لتسليط الضّوء على ماهية الاستلزام الحواري وأنواعها عند غرايس، ثم رصد نماذج متنوعة لها من رواية "مَن قتل الفلامينكَو؟!" وتحليلها، فإنّ أهم النّتائج المتحصّل عليها فيما يأتي:

١-الاستلزام الحواري – بأبسط تعريفاته –: هي أساليب يستخدمها المتحاورون من أجل توصيل المعنى تبعًا لحاجات المضمون الدلالي، فقد يكون الخطاب مباشرًا أو غير مباشر كما سبق معرفة ذلك، لذلك فإن اللغة باستخدام الاستلزام الحواري تكون أكثر اتساعًا ووعيًا وأكثر إمكانًا في الأداء الفعلي.

٢-الاستلزام الحواري عند غرايس على نوعين:

أ- الاستلزام الصريح أو النموذجي قائم على التزام المرسل والمستقبل قواعد مبدأ التعاون،

ب- الاستلزام الضمني الذي يظهر حين يتم خرق قاعدة أو أكثر من مبدأ التعاون.

٣-انقسمت الحوارات إلى قسمين: حوار النفس، وحوار بين شخصين فأكثر.

٤-تنوعت النماذج المختارة ما بين الاستلزام النموذجي والضمني، وبعض الحوارات خرقت قاعدتين، وأكثر قاعدة خرقت في النماذج هي قاعدة الكم. وربما يكون مقصد الكاتب من هذه النماذج الحوارية تمرير رسائل متعددة للمتلقي، تتلخص في الآتي:

- العمل من أجل الوطن لكن العمل ينبغي أن يكون بوعي بعيدًا عن العاطفة التي لا أساس متين لها، فإذا كان العمل من أجل الوطن يفقدنا حياتنا فالأولى أن نفكر بعقلانية وواقعية أكثر من أجل التخطيط للكيفية المناسبة في خدمة هذا الوطن.
- المواقف الأيديولوجية المعاصرة في العراق خلقتها الظروف المناسبة لما يريده المحتل.
- الهوية التي توحد الأمة هي هوية العمل المشترك في بيئة واحدة.

ولهذا يمكن القول إن الكاتب نجح في إيصال مقاصده إلى المتلقي على لسان شخصيات الرواية، وربما من الأسباب التي جعلته ينجح في ذلك هي استخدامه لأماكن حقيقية في العراق وألمانيا، إضافة إلى استخدامه للعامية البغدادية في الحوار.

وتوصي الباحثة باعتماد الروايات العراقية المعاصرة انطلاقًا من روايات الدكتور سمير العزاوي وصفًا وتحليلًا ومقارنةً؛ لأنها تُعَدُّ أرضيّة خصبة لتطبيق مبادئ النّظريّة التّداوليّة؛ فهي تُجسّد اللّغة الواقعيّة في الاستعمال بنسبة كبيرة.

- ثبت المصادر والمراجع:

Grice, P. (١٩٥٧). *Meaning: Philosophical Review*. (Vol.66) ed). St.John's :England. College Oxford.

Grice, P. (١٩٧٥). *logic and conversation: Speech acts, in Syntax and semantics* (Vol.3 ed). (P. a. Cole, Ed). New York.

Matthews, P. H. (١٩٩٧). *Oxford dictionary of linguistics* (Vol.2 ed.). England: Oxford University.

Morris, C. (١٩٥٥). *International Encyclopedia of Unified Science* (Vol.1) ed.). USA: University of Chicago.

Procter, P. (١٩٧٨). *Long Man Dictionary of contemporary English* (Vol. printed by special arrangements with Longman Group). UK.

Richards, J. C.,& Schmidt, R. (١٩٩٢). *Dictionary of language teaching applied linguistics* (Vol.2 ed.). London: Longman.

Wittgenstein, L. (١٩٣٢). *Wittgenstein's Lectures*. (e. A. Cambridge, Ed.) Blackwell: Oxford.

ابن فارس. (١٩٧٩). *مقاييس اللغة* (المجلد (د.ط)). (عبد السلام محمد هارون، المحرر) دمشق: دار الفكر.

ابن منظور. ((د.ت)). *لسان العرب* (المجلد (د.ط)). (عبد الله علي الكبير وآخرون، المحرر) القاهرة: دار المعارف.

ابن منظور. ((د.ت)). *لسان العرب* (المجلد (د.ط)). (عبد الله علي الكبير وآخرون، المحرر) القاهرة: دار المعارف.

الخليل بن أحمد الفراهيدي. (٢٠٠٧). *كتاب العين* (المجلد (د.ط)). (مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، المحرر) بيروت: دار ومكتبة الهلال.

جاك وآن ريبول موشلار. (٢٠١٠). *القاموس الموسوعي للتداولية* (المجلد ٢). (عز الدين المجدوب وزملاؤه، المترجمون) تونس: دار سيناترا–المركز الوطني للترجمة.

جواد ختام. (٢٠١٦). *التداولية – أصولها واتجاهاتها* (المجلد ١). الأردن: دار كنوز المعرفة.

جورج يول. (٢٠١٧). *دراسة اللغة* (المجلد ١). (حمزة بن قبلان المزيني، المترجمون) بيروت: جداول.

جون سيرل. (٢٠٠٦). *العقل واللغة والمجتمع- الفلسفة في العالم والواقعي* (المجلد ١). (سعيد الغانمي، المترجمون) الجزائر: منشورات الاختلاف.

سمير العزاوي. (٢٠١٨). *مَن قَتلَ الفلامينكو؟! – عن رجال يتنفسون العراق* (المجلد ١). الأردن: دار كنوز المعرفة.

صلاح إسماعيل عبد الحق. (٢٠٠٥). *نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس* (المجلد (د.ط)). القاهرة: الدار المصرية.

طه عبد الرحمن. (٢٠٠٧). *اللسان والميزان أو التكوثر العقلي* (المجلد ١). المغرب: المركز الثقافي العربي.

عادل فاخوري. (١٩٨٩). الاقتضاء في التداول اللساني. *عالم الفكر*((ع٣)).

عبد الهادي بن ظافر الشهري. (٢٠٠٤). *استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية* (المجلد ١). بيروت: دار الكتاب الجديد.

محمد بن أبي بكر الرازي. ((د.ت)). *مختار الصحاح* (الإصدار (مج١)). (مصطفى البغا.، المحرر) الجزائر: دار الهدى.

محمد بن محمد الزبيدي. (٢٠١١). *تاج العروس من جواهر القاموس* (المجلد (د.ط)). (عبد المنعم خليل إبراهيم وكريم سيد محمد، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

محمد فاضل السامرائي. (٢٠١٣). *الصرف العربي أحكام ومعاني* (المجلد ١). لبنان: دار ابن كثير.

محمود أحمد نحلة. (٢٠٠٢). *آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر* (المجلد ١). مصر: دار المعرفة الجامعية.

مسعود صحراوي. (٢٠٠٥). *التداولية عند العلماء العرب–دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي* (المجلد ١). بيروت: دار الطليعة.

مها محمد فوزي معاذ. (٢٠١١). *الأنثروبولوجيا اللغوية* (المجلد (د.ط)). الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

واكي راضية. (٢٠٢١). إثنوغرافيا الكلام في اللسانيات الأنثروبولوجية بين اللغة والثقافة والدين. *أنثروبولوجية الأديان*((ع١)).

المصادر المترجمة

Grice, P. (1957)...Meaning: Philosophical Review ((Vol. 66) ed.). England: St.John's College Oxford.

Grice, P. (1975). logic and conversation: Speech acts, in syntax and semantics (Vol.3 ed.). (P. a. Cole, Ed.) New York.

Matthews, P. H. (1997). Oxford dictionary of linguistics (Vol.2 ed.). England: Oxford University.

Morris, C. (1955). International Encyclopedia of Unified Science ((Vol.1) ed.). USA: University of Chicago.

Procter, P. (1978). Long Man Dictionary of contemporary English (Vol. printed by special arrangements with Longman Group). UK.

Richards, J. C., & Schmidt, R. (1992). Dictionary of language teaching applied linguistics (Vol.2 ed.). London: Longman.

Wittgenstein, L. (1932). Wittgenstein's Lectures. (e. A. Cambridge, Ed.) Blackwell: Oxford.

Ibn Faris. (1979). Language Standards (Vol. I). (Abdul Salam Muhammad Haroun, editor) Damascus: Dar Al-Fikr.

Ibn Manzur. ((DT)). Lisan al-Arab (Vol. D. I)). (Abdullah Ali Al-Kabeer and others, editor) Cairo: Dar Al-Maaref.

Ibn Manzur. ((DT)). Lisan al-Arab (Vol. D. I)). (Abdullah Ali Al-Kabeer and others, editor) Cairo: Dar Al-Maaref.

Khalil bin Ahmed Faraaheedi. (2007). The Book of the Eye (Volume (D. I)). (Mahdi Al-Makhzoumi and Ibrahim Al-Samarrai, editor) Beirut: Al-Hilal House and Library.

Jacques and Anne Ripoll Muschlar. (2010). Encyclopedic Dictionary of Pragmatics (Vol. 2). (Izz al-Din al-Majdoub and his colleagues, the translators) Tunisia: Sinatra House - National Center for Translation.

Jawad Khitam. (2016). Pragmatics – Its Origins and Trends (Volume 1). Jordan: Dar Treasures of Knowledge.

George Yule. (2017). The Study of Language (Volume 1). (Hamza bin Qablan Al-Muzaini, the translators) Beirut: Jadaul.

John Searle. (2006). Mind, language, and society: Philosophy in the real world (Vol. 1). (Saeed Al-Ghanimi, the translators) Algeria: Al-Kifaf Publications.

Samir Al-Azzawi. (2018). Who killed flamenco?! – About Men Who Breathe Iraq (Volume 1). Jordan: Dar Treasures of Knowledge.

Salah Ismail Abdel Haq. (2005). The theory of meaning in the philosophy of Paul Grice (Vol. (ed.)). Cairo: Egyptian House.

Taha Abdel Rahman. (2007). Tongue and balance or mental multiplication (Volume 1). Morocco: Arab Cultural Center.

Adel Fakhoury. (1989). Relevance in linguistic circulation. The world of thought ((p. 3)).

Abdul Hadi bin Dhafer Al Shehri. (2004). Discourse strategies: A pragmatic linguistic approach (Vol. 1). Beirut: New Book House.

Muhammad bin Abi Bakr Al-Razi. ((DT)). Mukhtar Al-Sahhah (Edition (Vol. 1)). (Mustafa Al-Bagha, editor) Algeria: Dar Al-Huda.

Muhammad bin Muhammad Al-Zubaidi. (2011). Taj Al-Arous from Jawahir Al-Qamoos (Volume (Ed.)). (Abdul Moneim Khalil Ibrahim and Karim Sayyid Muhammad, editor) Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

Muhammad Fadel Al-Samarrai. (2013). Arabic Morphology, Rulings and Meanings (Volume 1). Lebanon: Dar Ibn Kathir.

Mahmoud Ahmed Nahla. (2002). New horizons in contemporary linguistic research (Volume 1). Egypt: University Knowledge House.

Masoud Sahrawi. (2005). Pragmatics among Arab scholars - a pragmatic study of the phenomenon of “speech acts” in the Arab linguistic heritage (Volume 1). Beirut: Dar Al-Tali’ah.

Maha Muhammad Fawzi Moaz. (2011). Linguistic Anthropology (Vol. I). Alexandria: University Knowledge House.

Waki is satisfied. (2021). Ethnography of speech in anthropological linguistics between language, culture and religion. Anthropology of Religions ((p. 1)).